الحياء في القرآن الكريم
دراسة تحليلية موضوعية

دكتورة/ حصة بنت حمد الحواس

أستاذ التفسير المشارك بقسم القرآن وعلومه

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث لإبراز قيمة من القيم في المنظومة الأخلاقية التي تضمنها القرآن الكريم، ألا وهو خلق الحياء في القرآن الكريم، فتضمن هذا البحث خلق الحياء، تعريفه وأنواعه، صفة الحياء لله عز وجل، وصفة حياء الأنبياء صلوات الله عليهم، وتخليد القرآن الكريم ذكر امرأة لبست جلباب الحياء، ومحاسن الحياء وضرورة العودة إلى هذا النبع والنهل منه وخاصة ما يتعلق بهذا الخلق وأهمية بعث هذا الخلق في فطر الأجيال التي نربيها فهو لا يأتي إلا بخير فمن لزم الحياء كان إلى الخير أقرب وعن سبل الشر أبعد.

والله أسال التوفيق والسداد

الكلمات المفتاحية: حياء – خلق – القرآن.

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسِّر وأعن

مقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد:

القرآن الكريم هو دستور الأمة الذي ينظم شؤونها، فهو منهج حياة متكامل، بين لنا كيف يتعامل العبد مع ربه، وكيف يتعامل مع رسوله صلى الله عليه وسلم، وكيف يتعامل مع أسرته ومجتمعه، ومن أين يكسب ماله وكيف ينفقه، وبالجملة فقد نظم له شؤون حياته كلها وبين له ما يأتي وما يذر.

هذا المنهج كله قد أحاطه الله بسياج من الأخلاق لابد من التحلي بها، (فالنظام الأخلاقي ليس جزءًا من نظام الإسلام، بل إن الأخلاق هو جوهر الإسلام وروحه السارية في جميع جوانبه.)[1]

لذا لا عجب حينما سأل سعد بن هشام بن عامر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان جوابها مختصرا أقنعه إلى حد أنه هم ألا يسأل بعدها أحدا عن شيء قال: (يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ. قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ وَلَا أَسْأَلَ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ.)[2] فخص الله نبيه صلى الله عليه وسلم من كريم السجايا وحسن الخلق ما لم يؤته أحد غيره، فكان مطبقا لكل ما في القرآن، فالقرآن الكريم ليس كتابا نظريا للقراءة فقط، بل هو كتاب عملي لجميع جوانب الحياة.

فمن رأى النبي صلى الله عليه وسلم وصفه بأبرز شيء رآه فيه قال: " رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ"[3]

وحث نبينا صلى الله عليه وسلم على الأخلاق فقال: " إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا"[4] ومن ضمن هذه المنظومة الأخلاقية خلق (الحياء) ورد ذكره في القرآن الكريم، وخلد ذكر امرأة لبست جلباب الحياء، وخصه صلى الله عليه وسلم بالذكر وأشاد به.

---

١ علم الأخلاق الإسلامية أ.د مقداد يالجن ص٤٨ دار عالم الكتب ط الأولى ١٤١٣هـ.

٢ الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، كتاب الصلاة، باب جامع صلَاةِ اللَّيْلِ ومَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ رقم الحديث (١٧٧٣)، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة – بيروت.

٣ صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر رقم الحديث (٦٥١٦).

٤ الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، كتاب الأدب، باب حُسْنِ الْخُلُقِ والسَّخَاءِ ومَا يُكْرَهُ مِنْ الْبُخْلِ. رقم الحديث (٥٦٨٨)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، طـ الثالثة، ١٤٠٧ ه – ١٩٨٧م.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في إبراز خلق الحياء وتطبيقاته على ضوء آيات القرآن الكريم، فلقد كثر في زماننا المؤشرات التي تدل على ضعف هذا الخلق، فقد آذت التجاوزات السمع والبصر، ورأينا من بعض أبناء المسلمين (ذكورا وإناثا) ما يؤلم القلب، ويبعث في النفس الأسف أن يصدر ذلك في مجتمع مسلم.

فما العلاج لهذا الخلل؟

إن كان القرآن الكريم هذب الجيل الأول الذي نزل عليهم وارتقى بمجتمعهم إلى أحسن الأخلاق والأقوال والأعمال، فنحن في هذا الزمان بأمس الحاجة للعودة إلى هذا النبع ونستقي منه وخاصة ما يتعلق بخلق (الحياء) وبعثه في فطر الأجيال التي نربيها، وإبراز آياته في القرآن الكريم لهم، وتعريفه، وبيان أهميته، وأنواعه، فهو لا يأت إلا بخير، فمن لزم الحياء كان إلى الخير أقرب، وعن سبل الشر أبعد، ومن فقده كان بضد ذلك، فبقوة الحياء يقرب من الخير، وببعده عنه يقرب إلى ضده.

أهداف البحث:

من أبرز أهداف البحث:

١- تعريف خلق الحياء لغة واصطلاحا.

٢- تفسير الآيات التي ذكر فيها الحياء

٣- بيان أهمية خلق الحياء في الإسلام.

٤- أنواع الحياء.

منهجي في البحث:

المنهج الذي سأسير عليه -بإذن الله- هو استقرائي تحليلي للآيات المراد توضيحها، ثم تفسيرها تفسيرا موضوعيا.

حدود البحث:

ورد ذكر الحياء في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع صراحة – كما في الثبت أدناه – وهو ما سنتناوله، أما المواضع التي ذكر الحياء فيها ضمنا سنذكر بعضها في الموضع الذي يتناسب معها من هذا البحث.

ر	الآية	السورة	موضوعها
١	قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ﴾	البقرة	حياء الله
	قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ ... ٥٣ ﴾	الأحزاب	
٢	قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ ﴾	الأحزاب	حياء الرسول ﷺ
٣	قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ ﴾	القصص	حياء المرأة

فعنّ لي أن ألقي النظرة عليها في هذه الورقات لعل الله ينفع بها من كتب ومن قرأ. وجعلته بعنوان: ــ "الحياء في القرآن الكريم دراسة تحليلية موضوعية"

ليكون موضوع بحثي – بإذن الله –.

سائلة من المعين سبحانه الإعانة. وعلى الله الاتكال في إتمامه، وهو حسبي ونعم الوكيل.

الدراسات السابقة والفرق بينها وبين دراستي:

جميع ما أدرجته في الدراسات السابقة لم أقف عليه إلا بعد فراغي من البحث وإعداده للنشر.

وقد يكون هناك بعض التشابه والاتفاق في المصطلحات، أما البحث بوجه عام فمختلف وأبرز تلك الدراسات التي أطلعت عليها ما يلي:

١. خلق الحياء في الكتاب والسنة وتطبيقاته التربوية، إعداد: فهد بن عبد الله بن فائز الشهري

وهي رسالة ماجستير، تقدم بها الباحث لقسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، نوقشت الرسالة عام ١٤٢٠هـ.

نص الباحث على أن دراسته تربوية فقال: (ولقد تميز البحث الراهن باهتمامه وتركيزه على الجانب التربوي في مجال التطبيقات التربوية العملية). فتعرض لآيات الحياء كموطن شاهد.

٢. خلق الحياء في ضوء الكتاب والسنة، إعداد: لبنى خالد محمود إسماعيل.

وهي رسالة ماجستير، تقدمت بها الباحثة لكلية الدراسات العليا، في أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين نوقشت الرسالة عام ١٤٢٢هـ.

ذكر الباحث آيات الحياء في القرآن الكريم وخصصت ثلاث ورقات فقط للحديث عنها بشكل إجمالي.

٣. فقه الحياء في ضوء الكتاب والسنة د. أحمد أبو الفضل

البحث نشر في مجلة التربية، جامعة المنصورة، ٢٠١٢م – ١٤٣٣هـ، وقد كتب المؤلف – بارك الله في علمه– باستفاضة في كل مبحث. ووقع الكتاب في ١٥٠ صفحة فهو من المطولات في الموضوع.

٤. فقه الحياء محمد إسماعيل المقدم.

نشر الكتاب عام ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م، نشرته دار الأمل للنشر والتوزيع، والبحث في ٢٨٦ صفحة.

والدراسة الثالثة والرابعة لعلماء أجلاء ومؤلفاتهم من المطولات، والتشابه وارد، والبحث الذي بين أيدينا يسهل على القارئ قراءته فهو أقل حجما. علما أن الباحثة لم تطلع على تلك الدراسات إلا بعد فراغها منه.

وإذا أضفنا إلى ذلك – بارك الله في علمكم – الحاجة الملحة لإبراز قيمة الحياء وبعثها من جديد في هذا الزمان، لتتردد على الأسماع، وتلفت لها الأنظار، فتعزيزا لهذه القيمة ونشرها، كانت مساهمة الباحثة في بحثها، فقد أرسل الله عز وجل اثنين من الرسل وعزز بثالث تقوية لهم وتكثيرا. وهذا ما نحتاجه في هذا الزمان.

وجميع الدراسات السابقة تختلف تماما عن دراستي وتقسيماتي التي نحت منحى دراسة لآيات الحياء دراسة تفسيرية موضوعية تحليلية.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة وفهارس.

فأما المقدمة فتحتوي على:

١. بيان أهمية الموضوع ودواعي اختياره.

٢. خطة البحث ومنهجي فيه.

الفصل الأول: خلق الحياء وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الحياء.

المبحث الثاني: أنواع الحياء.

المبحث الثالث: خلق الحياء وأثره على الإيمان.

الفصل الثاني: الحياء في القرآن الكريم:

المبحث الأول: صفة الحياء لله عز وجل.

المبحث الثاني: حياء الأنبياء وحياء رسول الله ﷺ.

المبحث الثالث: حياء فتاة مدين.

الخاتمة.

فهرس: المصادر والمراجع.

الفصل الأول: خلق الحياء وأنواعه وأثره على الإيمان.

المبحث الأول: معنى الحياء.

الحياء لغة:

قال ابن فارس: (الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خِلاف المَوْت، والآخر الاستحياء الذي هو ضِدُّ الوقاحة.

فأمّا الأوّل فالحياة والحَيَوان، وهو ضِدُّ الموت والمَوَتَان. ويسمَّى المطرُ حياً لأن به حياةَ الأرض...والأصل الآخَر: قولهم استحييت منه استِحياءً.)[1]

فالأول: الذي هو خلاف الموت ليس هو مجال بحثنا، إنما قَصَدنا الأصل الآخر وهو تلك القيمة العالية الرفيعة في منظومة الأخلاق الإسلامية ألا وهو الحياء.

وجاء في الصحاح (واستحياه واستحيا منه بمعنى، من الحياء. ويقال استحيت بياء واحدة، وأصله استحييت مثل استعييت، فأعلوا الياء الأولى وألقوا حركتها على الحاء فقالوا: استحيت كما قالوا استعيت، استثقالا لما دخلت عليها الزوائد .... وقال أبو الحسن الأخفش: استحى بياء واحدة لغة تميم، وبياءين لغة أهل الحجاز، وهو الاصل.)[2]

قال الأزهري (وللعرب في هذا الحرف لغتان يقال اسْتحى فلان يستحي بياء واحدة، واسْتحيا فلان يَسْتحيي بياءين. والقرآن نزل باللغة التامة. قال الله جل وعز: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا... ﴿٢٦﴾ ﴾ البقرة ... ويقال فلانٌ أحيا من الهدى وأحيا من كعابٍ وأحيا من مُخدرةٍ ومن مخبأةٍ، وهذا كله من الحياء ممدود)[3]

قال ابن القيم: (الحياء من الحياة، ومنه الحياء للمطر لكن هو مقصور.)[4]

وقال أيضاً: (والحياء مشتق من الحياة، والغيث يسمى حيا -بالقصر- لأن به حياة الأرض والنبات والدواب، وكذلك سميت بالحياة حياة الدنيا والآخرة، فمن لا حياء فيه ميت في الدنيا شقي في الآخرة) [5]

الحياء اصطلاحا:

وقد اختلفت عبارات العلماء في تعريفهم للحياء واتفقت في معناها:

---

١ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (٢/ ١٢٢)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، (٦/ ٢٣٢٤) بتصرف يسير، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٣ تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الازهري، محمد عوض مرعب، (٥/ ١٨٧) بتصرف يسير، ط الأولى ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، (٢ / ٢٧٠)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٣ه. - ١٩٧٣م.

٥ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن القيم الجوزية، (ص٤٦) دار الكتب العلمية - بيروت.

قال ابن حجر: (وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.) [١] وقال أيضاً: (تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به، وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب، والترك إنما هو من لوازمه.) [٢]

وجاء في رياض الصالحين: (الحياء: رؤية الآلاء – أي النعم – ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى حياء.)[٣]

وقال الجرجاني في التعريفات:(الحياء انقباض النفس من شيء وتركه حذرا عن اللوم فيه.) [٤]

(ويشبه أن يكون الحياء خوف الذم والتوقي من الاستكبار، وقالة السوء، لأن من استحى، فإنما ترك لأجل استحيائه ما يوجب فعله ذمًا. أو ما ترى أنه يجلب إليه ذمًا سواء كان الذم لقبح الفعل في نفسه أو لمخالفته عادة الناس في مثله. أو لأن المتوقع من فاعله كان خلافه.) [٥]

وهذه التعريفات تضمنت تعريف الحياء وبواعثه، فالحياء انقباض في النفس يبعثه سبب معين يجعل المرء يبتعد عن القبيح ويقرب من المليح من الأفعال والأقوال، ويرتقي بالنفس نحو الكمال.

المبحث الثاني: أنواع الحياء.

الأخلاق بشكل عام منها ما هو فطري فيكون غريزة في العبد، أو مكتسب بأن يجاهد نفسه حتى يتطبع به.

ويدل على ذلك ما قَالَهَ رَسُولُ اللَّه –صلى الله عليه وسلم– للأشج أشج عبد القيس " إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلْمُ والأَنَاة "[٦]

وفي لفظ آخر "إن فيك لخلقين يحبهما الله" قلت: وما هما يا رسول الله؟ قال: "الحلم، والحياء"، قلت: قديماً أو حديثاً؟ قال: "قديماً" قلتُ: الحمد لله الذي جبلني على خلقين أحبهما الله."[٧]

---

١ فتح الباري تشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (١ / ٥٢)، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢ فتح الباري (١ / ٥٢)

٣ رياض الصالحين، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ص (٢٤٦)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤ التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني ص (٩٤)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط– الأولى ١٤٠٥هـ.

٥ المنهاج في شعب الإيمان، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي (٣/ ٢٣٠) تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، ط: الأولى، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م.

٦ صحيح مسلم باب الأمْرِ بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه رقم الحديث (١٢٦).

٧ صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني رقم الحديث (٤٥٤)، دار الصدّيق، ط الأولى ١٤٢١هـ.

قال ابن حجر: (فترديده السؤال وتقريره عليه يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب)[1]

وعلى هذا فالحياء على نوعين:

١- جبلي (فطري).

٢- مكتسب.

قال الجرجاني:(وهو نوعان: نفساني وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة والجماع بين الناس، وإيماني وهو أن يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفا من الله تعالى .)[2]

جاء في الآداب الشرعية: (قد يكون الحياء تخلّقا واكتسابا كسائر أعمال البرّ، وقد يكون غريزة واستعماله على مقتضى الشّرع يحتاج إلى كسب ونيّة وعلم.)[3]

فالحياء كغيره من الأخلاق قد يكون جبلة في الشخص، وقد يكون طمسته سوء الأخلاق في العبد ذاته، فيكون أفرط في حق نفسه، وقد تكون البيئة لا تساعد على وجود هذا الخلق ووضوحه فيها، فبإمكان العبد – بعد عون الله له – أن يهذب نفسه ويروضها حتى يقوى فيها جانب الحياء وقال القرطبي في المفهم (الخلق جبلة في نوع الإنسان وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شيء منها إن كان محمودا وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا، وكذا إن كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى)[4]

وعقد الغزالي فصلاً في كتابه (الإحياء) عن الأخلاق، عقد فصلًا في (بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة) قال: (لو كانت الأخلاقُ لا تقبلُ التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ، والتأديبات، ...وكيف يُنكر هذا في حقِّ الآدمي! وتغييرُ خلق البهيمةِ ممكن، إذ ينقل البازيُّ من الاستيحاش إلى الأنس، والكلبُ من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد، وكل ذلك تغييرٌ للأخلاق.)[5].

---

١ فتح الباري (١٠/ ٤٩٥).

٢ التعريفات ص (٩٤).

٣ الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٢٢٧)، محمد بن مفلح المقدسي، القاهرة، مؤسسة قرطبة، ١٩٨٧ م.

٤ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، (٦/ ١١٧)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

٥ إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (٣/ ١٠١). بتصرف يسير، دار الكتاب العربي.

وليس من الحياء ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كيف والحياء كما جاء في الصحيح " الحياء لا يأتي إلا بخير"[1]. (لأن من استحيا من الناس أن يروه يأتي بقبيح دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشد فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة.) [2]

ومر النبي صلى الله عليه وسلم على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول: إنك لتستحيي حتى كأنه يقول: قد أضر بك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعه فإن الحياء من الإيمان "[3]

قال النووي رحمه الله: (فقد يُشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يجلُّه، فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، وغير ذلك مما هو معروف في العادة. وجواب هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة؛ منهم الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: أن هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وخور ومهانة، وإنما تسميته حياء من إطلاق بعض أهل العرف، أطلقوه مجازاً لمشابهته الحياء.)[4]

وليس من الحياء أيضا أن يترك طلب العلم أو السؤال عما يجهله من أمور الدين حياء من السؤال جاء في صحيح البخاري (وقال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر. وقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.)[5]

فلن يتعلم إذا كفه الحياء ومنعه من طلب العلم، وليس هذا من الحياء المحمود بل هو مذموم، قال ابن بطال: (إنما أراد البخاري بهذا الباب ليبين أن الحياء المانع من طلب العلم مذموم)[6] (وكلام مجاهد ظاهر مشاهد وكم ترى من مستغرق في الجهل حياءً من أن يقال في شأنه: لا يعلم لو تلمذ، وكم من جاهل يقول: أنا ابن فلان كيف أتلمذ للناس.)[7]

فإن كان الأمر المسؤول عنه مما يستحى من التصريح به عرض بالسؤال، أو كتبه لمن يطلب العلم على يديه، أو أرسل من ينوب عنه كما فعل علي رضي الله عنه قال: كنت

١صحيح البخاري كتاب الأدب، باب الحياء رقم الحديث (٥٧٦٦)

٢ فيض القدير، (٣/ ٥٦٧)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان. ط: الاولى ١٤١٥ ه – ١٩٩٤ م.

٣صحيح البخاري كتاب الأدب، باب الحياء رقم الحديث (٥٧٦٧)

٤ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف بن مري النووي، (٥/٢)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٥ صحيح البخاري ذكره معلقا في كتاب العلم، باب الحياء في العلم.

٦ شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي (١/ ٢١٠)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، ط: الثانية.

٧ الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي، (١/ ٢٦٥)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م.

رجلا مذاء فأمرت المقداد أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال: " فيه الوضوء."[1].

عن أم سلمة قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا رأت الماء." فغطت أم سلمة تعني وجهها وقالت: يا رسول الله وتحتلم المرأة؟ قال: "نعم تربت يمينك فيم يشبهها ولدها"[2]

المبحث الثالث: خلق الحياء وأثره على الإيمان:

أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة هو حسن الخلق، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ"[3] فحسن الخلق يزيد من إيمان العبد، فإكرام الضيف وحسن الجوار، وتعويد اللسان ألا ينطق إلا بخير، وغيرها ، جاء النص الصريح أنها من علامات الإيمان، ومن الأخلاق الإسلامية التي يحبها الرحمن، وحث عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وعدها من شعب الإيمان: فالحياء خلق الأنبياء، ويحبه رب الأرض والسماء، دعت إليه الشرائع، وفاضت الأحاديث الصحيحة التي تبين قيمة هذا الخلق بل هو خلق هذا الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء." [4]

(وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرا وأكثرها نفعا بل هو خاصة الإنسانية فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة كما أنه ليس معه من الخير شيء ولولا هذا الخلق لم يقر الضيف ولم يوف بالوعد ولم تؤد الأمانة ولم تقض لأحد حاجة، ولا تحرى الرجل الجميل فآثره والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقا، ولم يصل له رحما، ولا بر له والدا، فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي علوي وهو حياء فاعلها من الخلق، قد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها.)[5]

١صحيح البخاري كتاب العلم، باب من استحيا غيره بالسؤال رقم الحديث (١٣٢)

٢ صحيح البخاري كتاب العلم، باب الحياء في العلم رقم الحديث (١٣٠).

٣ سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِستاني، كتاب الأدب، بابٌ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، رقم الحديث (٤٧٩٩)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٣٩٠) بلفظ مقارب. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف عليه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤٠٦هـ..

٤ سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، رقم الحديث (٤١٨١)، دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٢١٤٩).

٥ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن القيم الجوزية، (٢٧٧/١)، دار الكتب العلمية – بيروت.

وللحياء أثر على الإيمان وجودا وعدما قال صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان." [١] فكلما زاد حياء العبد كلما زاد إيمانه. (إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه ودفن مساويه ونشر محاسنه ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ومن ذهب سروره هان على الناس ومقت.) [٢]

(مر النبي صلى الله عليه وسلم على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول: إنك لتستحيي حتى كأنه يقول: قد أضر بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعه فإن الحياء من الإيمان") [٣] و (من هنا للتبعيض، أي: بعض من كل.) [٤] (أي من أسباب أصل الإيمان وأخلاق أهله تمنع من الفواحش وتحمل على البر والخير، كما يمنع الإنسان صاحبه من ذلك، فعلم أن أول الحياء وأولاه الحياء من الله، وهو: أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك، وكماله إنما ينشأ عن المعرفة ودوام المراقبة.) [٥]

(جَعل الحَياء وهو غريزة من الإيمان وهو اكتساب لأنّ المستحي يَنْقَطِع بحَيَائه عن المعاصي وإن لم تكن له تَقِيَّة، فصار كالإيمان الذي يَقْطَع بينها وبينه. وإنما جعله بعضه لأنّ الإيمان يَنْقَسم إلى ائتمار بما أمر اللّه به وانتهاء عما نهى اللّه عنه فإذا حَصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان.) [٦]

فكلما قوي الحياء انزجرت النفس عن المعاصي، وكلما ضعف الحياء تجرأت النفس على المعاصي وارتكبتها ولربما نشرتها وروجت لها، وهذا هو سر التلازم بين الحياء والإيمان وصدق من قال:

وَرُبَّ قَبيحَة ما حالَ بَيني ... وَبَينَ رُكوبِها إِلّا الحَياءُ

وَكانَ هُوَ الَّذي أَلهى[٧] وَلَكِن ... إِذا ذَهَبَ الحَياءُ فَلا دَواءُ [٨]

فهو في خير من جهة إيمانه إذ أنه يزداد كلما كثر حياؤه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الحياء لا يأتي إلا بخير.)[٩]. أي (إذا صار الحَيَاء عادة، وتخَلَّق به صاحبه، يكون سببًا يجلب الخير إليه، فيكون منه الخير بالذَّات والسَّبب) [١٠] (إن الحياء يحجز المرء عن

---

١ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان رقم الحديث (٩).

٢ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي أبو حاتم، (ص ٥٨)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٣٩٧ه – ١٩٧٧م.

٣ سبق تخريجه في ص ٩.

٤ فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، محمد بن صالح العثيمين (٤٢٨/٦)، تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، طـــ: الأولى، ١٤٢٧ هـــ – ٢٠٠٦ م.

٥ فيض القدير، (٣/ ٥٦٥).

٦ النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (٤٧٠/١)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـــ.

٧ قال محقق الديوان: لعله: ينهى. ص ١٠٤

٨ ديوان علي بن الجهم، لعلي بن الجهم، تحقيق: خليل مراد، ص ١٠٤، المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، المكتبات المدرسية، سنة النشر ١٤٠٠، ط الثانية،

٩ سبق تخريجه في ص١٢.

١٠ فتح الباري (١ / ٥٢)

الفواحش، ويجعله يتستَّر بها إذا هو كَبَا في شيء من أوحالها، ويجعله بعيدًا عن فحش القول والبذاءة، والحياء يدفع المرء إلى التحلي بكل جميل محبوب، والتخلي عن كل قبيح مكروه، والجمال من الكمال، والقبح من النقصان، وجمال الخصال، والأفعال أسمى من جمال الرسوم والأشكال، لكل ذلك حثَّ الإسلام على التحلِّي بخلق الحياء، والبعد عن كل وقاحة ومجانة، وفحش وبذاء".)[1]

وقال سفيان بن عيينة: الحياء أخف التقوى ولا يخاف العبد حتى يستحي، وهل دخل أهل التقوى في التقوى إلا من الحياء؟[2]

وذكر الماوردي أن الحياء يكون على ثلاثة أوجه:

(أحدها: الحياء من الله تعالى، بامتثال أوامره، والكف عن زواجره، وهو إنما ينشأ عن قوة الدين وصحة اليقين. والثاني: الحياء من الناس، فيكون بكف الأذى، وترك المجاهرة بالقبيح، وهذا قد يكون من كمال المروءة.

والثالث: حياء المرء من نفسه بالعفة وصيانة الخلوات. قال بعض الأدباء: من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قَدْر. وهذا قد يكون من فضيلة النفس، وحسن السريرة لها.

فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة، فقد كملت فيه أسباب الخير، وانتفت عنه أسباب الشر.)[3]

فهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: " الحياء لا يأتي إلا بخير"

فالحياء من الله هو المعتبر (لأن ذمه فوق كل ذم، ومدحه فوق كل مدح. والمذموم بالحقيقة من ذمه ربه، والمحمود من حمده ربه.... والحياء من الله تعالى طريق إلى إقامة كل طاعة، واجتناب كل معصية، لأنه إذا خاف الذم من الله عز وجل إياه، وإنكاره ما يبدو منه من القبيح لم يرفض له طاعة ولم يقرب له معصية.)[4]

ولا يكون الحياء من الله إلا إذ عَظُم الخالق في قلب العبد حينها سيعظم حرمات الله وسيأتيه الخير والفلاح

﴿ ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ... ﴿٣٠﴾ ﴾ الحج

(وحرمات الله: كل ماله حرمة، وأمر باحترامه، بعبادة أو غيرها، كالمناسك كلها،

---

١ الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (٢/ ٥٠٨)، دار القلم – دمشق، ط: الخامسة ١٤٢٠هـ.

٢ فيض القدير، (١/ ٦٢٣).

٣ أدب الدنيا والدين، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، (٣٩٤- ٤٠٠) بتصرف، طـ ١٤٣٤هـ، دار المنهاج للنشر والتوزيع- لبنان – بيروت.

٤ المنهاج في شعب الإيمان (٣/ ٢٣١).

وكالحرم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها، فتعظيمها إجلالها بالقلب، ومحبتها، وتكميل العبودية فيها، غير متهاون، ولا متكاسل، ولا متثاقل.)[1]

(إذا ثبت تعظيم الله في قلب العبد أورثه الحياء من الله والهيبة له، فغلب على قلبه ذكر اطلاع الله العظيم ونظره بعظمته وجلاله إلى ما في قلبه وجوارحه، وذكر المقام غدا بين يديه وسؤاله إياه عن جميع أعمال قلبه وجوارحه، وذكر دوام إحسانه إليه وقلة الشكر منه لربه، فإذا غلب ذكر هذه الأمور على قلبه هاج منه الحياء من الله فاستحى الله أن يطلع على قلبه وهو معتقد لشيء مما يكره أو على جارحه من جوارحه يتحرك بما يكره فطهر قلبه من كل معصية ومنع جوارحه من جميع معاصيه .)[2]

وهذا ما أرشد له النبي صلى الله عليه وسلم صحابته حين قال لهم: " استحيوا من الله حق الحياء. قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء ".[3]

فمتى استحضر العبد نظر الله إليه، ووافق ذلك قلبا حيا، وضميرا يقظا، استحى أن يقبل على ربه بقلب غافل لاهٍ، واستحى التاجر أن يطفف في كيل أو وزن، واستحت المرأة من خروجها سافرة متبرجة متعطرة لأن الشرع نهاها عن ذلك، واستحى الطبيب أن يهمل مرضاه ولا ينصح لهم. وهكذا، (وإن من أعظم بركته تعويد النفس ركوب الخصال المحمودة ومجانبتها الخلال المذمومة، كما أن من أعظم بركة الحياء من الله الفوز من النار بلزوم الحياء عند مجانبة ما نهى الله عنه لأن ابن آدم مطبوع على الكرم واللؤم معا في المعاملة بينه وبين الله والعشرة بينه وبين المخلوقين، وإذا قوى حياؤه قوى كرمه وضعف لؤمه، وإذا ضعف حياؤه قوى لؤمه وضعف كرمه.)[4]

وبالمقابل إذا حلت الوقاحة وقلة الحياء محل الحياء، فإنه لن يبالي بأي واد رتع، سيكون كالبهيمة لا يدري ما يأتي وما يذر، ومن عقوبات الذنوب والمعاصي (ذهاب الحَيَاء الذي هو مادَّة الحياة للقلب، وهو أصل كلِّ خير وذهاب كلِّ خير بأجمعه...)[5] قال النبي

---

١ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ص ٥٣٧) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م.

٢ تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله (٢/ ٨٢٦)، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار – المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣ الجامع الكبير سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى باب ٢٤، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم الحديث: (٢٤٥٨) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م، قال الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٩٣٥ في صحيح الجامع.

٤ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، (ص ٥٨).

٥ الجواب الكافي، ص٩٤.

صلى الله عليه وسلم: " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستحي فافعل ما شئت." [١]

معنى قوله "النُّبوَّة الأولى" (أنَّ الحيَاء لم يزل أمره ثابتًا، واستعماله واجبًا منذ زمان النُّبوَّة الأولى، وأنه ما مِن نبيٍّ إلَّا وقد نَدَب إلى الحيَاء وبُعِث عليه، وأنَّه لم ينسخ فيما نسخ مِن شرائعهم.)[٢]

ومعنى: إذا لم تستحي فافعل ما شئت " لها تأويلان:

(أحدهما ظاهر وهو المشهور: أي إذا لم تَسْتَحْيِ من العيْب ولم تَخْشَ العارَ مما تفعله فافعل ما تُحَدِّثُك به نفْسُك من أغراضها حَسَنا كان أو قبيحاً، ولفظه أمر ومعناه توبيخٌ وتهديد، وفيه إشعار بأن الذي يَرْدَع الإنسان عن مُواقعة السوء هو الحَياء فإذا انْخَلَع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة وتعاطي كل سيئة.

والثاني أن يُحْمَل الأمر على بابه يقول: إذا كنت في فعلك آمناً أن تَسْتَحْيِي منه لجريك فيه على سَنَن الصواب وليس من الأفعال التي يُسْتَحيا منها فاصنع ما شئت.)[٣]

(والمقصود: أنَّ الذُّنوب تُضْعِف الحَيَاء مِن العبد حتى ربَّما انسلخ منه بالكلِّيَّة، حتى ربَّما أنَّه لا يتأثَّر بعلم النَّاس بسوء حاله، ولا باطِّلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعله، والحامل على ذلك انسلاخه مِن الحَيَاء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحالة، لم يبق في صلاحه مطمع.

وإذا رأى إبليس طلعة وجهه حيا وقال: فديت من لا يفلح[٤])[٥]

فإن مثل هذا قد أغضب ربه، وهتك ستره، ونشر المعصية، وجرأ عباد الله عليها.

(فمن لا حياء فيه ميت في الدنيا شقي في الآخرة، وبين الذنوب وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين، وكل منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثا؛ ومن استحيا من الله عند معصيته استحيا الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من الله تعالى عند معصيته لم يستح الله تعالى من عقوبته.)[٦]

---

١ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إذا لم تستح فافعل ما شئت رقم الحديث (٣٢٩٦).

٢ فيض القدير (٦٨٥/٢).

٣ النهاية في غريب الحديث والأثر، (٤٧٠/١).

٤ ديوان البحتري، للبحتري، اعتنى به عبد الرحمن أفندي البرقوقي، ص ١٢٣، ط: الأولى ١٣٢٩هـ. مطبعة هندية بالموسكي بمصر، ولفظ البيت في الديوان (وإذا رأى إبليس غرة وجهه* حيا وقال: فديت من لم يفلح)

٥ الجواب الكافي، ص٩٤.

٦ المصدر السابق..

الفصل الثاني: الحياء في القرآن الكريم

المبحث الأول: صفة الحياء لله عز وجل:

جاء في الكتاب العزيز أن الله تنزه عن الاستحياء من ذكر الحق في موضعين:

الموضع الأول:

قوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ﴾ البقرة.

سبق هذه الآية مثلان ضربهما الله للمنافقين كانت مجالاً لأن يطلق الفسقة أقوالهم، وثبت الله بها المؤمنين والآيتان هما:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ ﴾ البقرة.

قال ابن جرير (اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أنزل الله جل ثناؤه فيه هذه الآية[1] وفي تأويلها.) [2] ثم ذكر الأقوال منها:

عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم :(قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أنْ يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾ البقرة.)[3]

عن قتادة: (أي إن الله لا يستحيي من الحق أن يذكرَ منه شيئًا ما قل منه أو كثر. إن الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة: ما أراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ٢٦ ﴾ البقرة.)[4] ثم

---

١ آية (٢٦) البقرة.

٢ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (١/ ٣٩٩) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، طـ: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣ المصدر السابق (١/ ٣٩٩).

٤ المصدر السابق (١/ ٣٩٩)

رجح القول الأول فقال: (غير أنّ أولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحقّ، ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عباس.

وذلك أنّ الله جلّ ذكره أخبر عباده أنه لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضةً فما فوقها، عَقِيب أمثالٍ قد تقدمت في هذه السورة، ضربها للمنافقين، دون الأمثال التي ضربها في سائر السور غيرها. فلأن يكون هذا القول – أعني قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا ﴾ – جوابًا لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب لهم من الأمثال في هذه السورة، أحقّ وأولى من أن يكون ذلك جوابًا لنكيرهم ما ضرب لهم من الأمثال في غيرها من السور.) [1]

وعلى كل حال فآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا ﴾ فيها تنزيه الله نفسه العلية من الاستحياء أن يضرب الأمثال دقيقها وجليلها لإيضاح الحق وبيان الحكمة، فالمؤمنون لا يزيدهم ذلك إلا إيمانا، ومن فسق بكفر أو معصية لن يزداد هدى بذلك، (فلا أعظم نعمة على العباد من نزول الآيات القرآنية، ومع هذا تكون لقوم محنة وحيرة وضلالة وزيادة شر إلى شرهم، ولقوم منحة ورحمة وزيادة خير إلى خيرهم، فسبحان من فاوت بين عباده، وانفرد بالهداية والإضلال.) [2]

والموضع الثاني: في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ ﴾ الأحزاب.

هذه الآية تسمى آية الحجاب نزلت بعد وليمة أقامها النبي صلى الله عليه وسلم لزواجه بزينب بنت جحش رضي الله عنها، فدخل القوم فطعموا وبقي نفر منهم يتحدثون، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يطوف حجرات أمهات المؤمنين يدعو لهن ويدعون له فلما عاد إذ بالقوم في مكانهم يتحدثون قال أنس رضي الله عنه: (وكان النبي صلى الله عليه

---

١ المصدر السابق (١/ ٤٠٠)

٢ تفسير السعدي (ص ٤٧).

وسلم شديد الحياء، فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة فما أدري آخبرته أو أخبر أن القوم خرجوا، فرجع حتى إذا وضع رجله في أسفكة الباب[1] داخلة وأخرى خارجة أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب.)[2]

الشاهد في هذه الآية هو قوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ ... ﴿٥٣﴾ ﴾ (أي لا يمتنع من بيانه وإظهاره. ولما كان ذلك يقع من البشر لعلة الاستحياء نفي عن الله تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر.)[3]

نزه الله عز وجل نفسه عن الاستحياء من بيان الحق فأدب المسلمين بهذه الآداب المذكورة في الآية – وسيأتي مزيد من التفصيل لهذه الآية –

ففي الآيتين السابقتين نزه الله نفسه عن الاستحياء عن ضرب الأمثال قلت أو كثرت إذا كان في ذلك فائدة، والثانية: نزه الله نفسه عن الاستحياء من بيان الحق، هنا يأتي سؤال هل صفة الحياء ثابتة لله عز وجل.؟

بداية الأمر لا بد من ذكر أن أسماء الله سبحانه وصفاته توقيفية (فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء.

وقوله ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف.، ولأن تسميته تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص.)[4]

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين."[5]

---

١ أسفكة: عتبة الباب. معجم مقاييس اللغة (٤/٢٢٥).

٢ صحيح البخاري كتاب التفسير، سورة الأحزاب رقم الحديث (٤٥١٥)

٣ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (١٤/ ٢٢٧)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٤ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين ص (١٣)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٥ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى (٥/ ٤٤٨) رقم الحديث (٣٥٥٦)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم الحديث (١٧٥٧)، أشرف عليه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤٠٦هـ.

وقال صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ"[1]

((حيي) بيائين الأولى مخففة مكسورة والثانية مشددة مرفوعة، أي: كثير الحياء من تفضيح عباده وإظهار شنائعهم.)[2]

فصفة الحياء صفة خبرية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة، وليس كحياء المخلوقين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى.بل حياء يليق بجلاله وعظمته (لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول؛ فهو حياء كرم وبر وجود وجلال؛ فإنَّه تبارك وتعالى حيي كريم يَستحي من عبْده إذا رَفَعَ إليه يديه أن يردَّهما صِفراً.)[3]

و(يحمل على ما يليق له كسائر صفاته نؤمن بها ولا نكيفها.)[4] وحياؤه تعالى (ليس كحياء المخلوقين، الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يعاب أو يذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه؛ فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيؤه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر.)[5].

(وهو الحيي فليس يفضح عبده عند التجاهر منه بالعصيان
لكنه يلقي عليه ستره فهو الستير وصاحب الغفران.)[6]

فالحياء صفته ويحب من اتصف بها: (ومن وافق الله في صفه من صفاته قادته تلك الصفة اليه بزمامه وأدخلته على ربه وأدنته منه وقربته من رحمته وصيرته محبوبا له، فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء، كريم يحب الكرماء، عليم يحب العلماء، قوى يحب المؤمن القوي، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف، حتى يحب أهل الحياء، جميل يحب

---

١ سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِستاني (٤/ ٣٩) رقم الحديث (٤٠١٢)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم الحديث (١٧٥٦).

٢ مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري (٢/ ١٤٤)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، ط: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

٣ مدارج السالكين (٢/٢٦١).

٤ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، (٩/ ٣٨١)، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥ شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، للإمام ابن القيم الجوزية، شرحها وحققها: د. محمد خليل هراس، (٨٦/١)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ط: الثالثة ١٤٢٤هـ.

٦ متن القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ص ٢٠٧) مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: الثانية، ١٤١٧هـ.

أهل الجمال، وتر يحب أهل الوتر، ولو لم يكن في الذنوب والمعاصي إلا أنها توجب لصاحبها ضد هذه الصفات وتمنعه من الاتصاف بها لكفي بها عقوبة.) [1]

المبحث الثاني: حياء الأنبياء وحياء رسول الله ﷺ :

اختار الله أنبياءه من أكمل الناس خَلْقا وخُلُقا، والحياء من الأخلاق الرفيعة لمن نبل طبعه، وسمت نفسه، فجاءت الآيات التي تبين حياء الأنبياء منه ما هو صراحة بلفظ الحياء، ومنه ما تضمن فعل النبي من الحياء صلوات ربي عليهم، وفي هذا المبحث سنتناول – بإذن الله – ثلاثة منهم.

حياء آدم وحواء:

بعد خلق الله لآدم وأمر الملائكة بالسجود له ورفض إبليس السجود له استكبارا، وكان ذلك سببا لطرده من الجنة، فطلب من الله الإنظار والإمهال إلى يوم البعث ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦ ﴾ الحجر، فأعطي ذلك لكن ليس كما طلب بل إلى يوم الوقت المعلوم ابتلاءً للعباد، وتعريضًا للثواب ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨ ﴾ الحجر.

وما أن أذن الله له بالبقاء حتى أعلنها وبكل وقاحة، أعلن خطته لإضلال البشرية، أخذ على نفسه عهدًا وأقسم بعزة الله أن يقعد لعباده كل مرصد على طريق الحق وسيهاجمهم من جميع الجهات الأربع ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ الأعراف. وسيجلب عليهم بخيله ورجله. ويبدأ عدو الله معركته مطبقًا بذلك خطته، عرف عدو الله أن آدم وزوجه يريدان الخلود في الجنة، فانطلق من هذه النقطة شهوة الخلود، وأضاف إليها شبهة قسمه بالله لهما أنه ناصح ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ ﴾ الأعراف.[2] فاجتمعت الشبهة والشهوة.

﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ ٢٠ الأعراف. تنبئ هذه العبارة عن (الصوت الخفي)[3] المهموس فحروفها كلها همس ما عدا الواو، وغرضه ومقصده وغايته ليظهر ويكشف عن عوراتهما، ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖ ﴾ ٢٢ الأعراف. التدلية: (إرسال الشيء من الأعلى

---

١ الجواب الكافي، ص٩٤.

٢ تضمن هذا الخبر أنواعًا من التأكيد:

أحدها: تأكيد بالقسم، والثاني: تأكيد بإن.

والثالث: تقديم المعمول على العامل، إيذانًا بالاختصاص، أي نصيحتي مختصة بكما، وفائدتها عائدة إليكما لا لي.

الرابع: إتيانه باسم الفاعل الدال على الثبوت واللزوم، دون الفعل الدال على التجدد: أي النصح صفتي وسجيتي ليس أمرًا عارضًا لي.

الخامس: إتيانه بلام التأكيد في جواب القسم. ينظر: إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية (١٨١/١)، تحقيق: محمد عفيفي، ط الثانية ١٤٠٩هـ. المكتب الإسلامي – بيروت.

٣ الجامع لأحكام القرآن (١٧٧/٧).

إلى الأسفل)[1]، فأنزلهما من مرتبتهما العالية وهي البعد عن الذنوب والمعاصي إلى التلوث بهما فأقدما على أكل الشجرة، ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ﴾ ﴿٢٢﴾ الأعراف. لم يستمتعا بعد إنما هو تذوق فظهرت عورة كل منهما بعدما كانت مستورة، (ودلت هذه الآية على أن بدو سوآتهما حصل عند أول إدراك طعم الشجرة، دلالة على سرعة ترتب الأمر المحذور عند أول المخالفة، ... وهذه أول وسوسة صدرت عن الشيطان. وأول تضليل منه للإنسان.)[2]

﴿ وَطَفِقَا ﴾ ﴿٢٢﴾ الأعراف. (عمدا من الاستحياء)[3] وهما على هذه الحالة (يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة)[4] إذ بنداء الله لهما معاتبا لهما على ما فعلا بعد أن حذرهما من عدوهما بأنه ظاهر العداوة معهما.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأعراف. فتضرعا تائبين نادمين ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأعراف. هذا حياء آدم وحواء عليهما السلام بعد انكشاف عورتهما، وسماه ابن القيم (حياء الجناية: فمنه حياء آدم عليه السّلام.)[5] وهكذا الفطر السليمة لا ترى في العري رقيا وتحضرا بل هو أمر يجب أن يستحى منه، فكيف وقد حرمه الرحمن على عباده. إن غياب الحياء عن لباس المسلمات له عواقبه الوخيمة سيحل محله التعري والتفسخ، تماما كما أغرى إبليس أبانا آدم بالمعصية فكان التعري، فما حل التعري إلا لغياب التقوى، (أليست سمة كل جاهلية هي العري، والكشف، وقلة الحياء من الله، وقلة التقوى؟)[6]

لذا عقب بعد قصة آدم في سورة الأعراف بهاتين الآيتين:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأعراف.

---

١ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (٩٩/٤)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢ التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور /لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (٨/ ٤٨) بتصرف، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٣ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (ص١٢٥)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار الكتب العلمية – لبنان.

٤ أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي / لناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (١/ ٣٣٥) دار الكتب العلمية بيروت– لبنان ط الأولى ١٤٢٠هـ.

٥ مدارج السالكين (٢/ ٢٧٢)، عد ابن القيم في مدارج السالكين عشرة أقسام للحياء.

٦ الأساس في التفسير، سعيد حوّى، (٤/ ١٨٦٠)، دار السلام – القاهرة، ط: السادسة،١٤٢٤ هـ.

للإنسان عورتان عورة جسدية وعورة نفسية وكلتيهما تحتاج إلى ستر وزينة، فستر الجسد وزينته اللباس، وستر النفس وزينتها التقوى، وجبل الخالق سبحانه البشر وفطرهم على سترهما، فالفطرة السوية الصحيحة تنفر من كشفهما وتعريهما، ولا يخل بذلك إلا قاصر عقل أو دين، فالعري للحيوان وليس للإنسان، ولا يخالف في ذلك إلا مكابر ومعاند، والذين يجتهدون بكل ما أوتوا من وسيلة بقلم أو صوت أو صورة في دعوة الناس للتعري ويزينونه ويحسنونه لهم بأنه مظهر من مظاهر الرقي والحضارة وما هو إلا هبوط إلى رتبة الحيوان، ما هم إلا جند لمن حذرنا الله منه وأوقع أبونا آدم في الخطيئة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ فاطر.

حياء موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام:

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾ الأحزاب.

أكثر القصص ورودًا في القرآن قصة موسى مع قومه. وذلك لما فيها من العظات والعبر لمن تفكر واعتبر.

رعاية الله وحفظه أحاطت موسى منذ ولادته، فقد اصطفاه على الناس برسالته وبكلامه وكان عند الله وجيهًا.

وعُرِف بنو إسرائيل بسوء أدبهم مع أنبيائهم، بل مع الله عز وجل، والقصة التي بين أيدينا فيها من ذاك السوء. فقد أوذي موسى من قبل قومه في أشياء كثيرة خذلوه عند لقاء الأعداء وقالوا له:

فَٱذۡهَبۡ ﴿ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ ﴾ المائدة. وقولهم: ﴿ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ ٥٥ ﴾ جَهۡرَةَ البقرة. وقولهم: ﴿ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ ﴾ ٦١ البقرة. وغيرها من الآيات. وفي هذا الموقف الذي بين أيدينا أوذي موسى عليه السلام في حيائه لأنه يتستر ولا يتعرى كما يتعرون واتهموه بأن فيه عيبا في جسده فدافع الله عنه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب

بجلده إما برص وإما أدرة[1] وإما آفة وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾ الأحزاب." [2]

تماما كما يقال عن حجاب المسلمات الآن أنهن لا يتحجبن إلا من عيب في وجوههن، أرادوا بذلك تشويه الحجاب، وما الحجاب إلا أمر إلهي يعزز الحياء والعفة والفضيلة.

فالحياء جلباب العفيفة، وشعار الشريفة، هكذا أراده الله للمسلمات

يَعيشُ المَرءُ ما استَحيا بِخَيرٍ ... وَيَبقى العودُ ما بَقِيَ اللِحاءُ

فلا والله ما في العيش خيرٌ ... ولا الدُنيا إذا ذهب الحياء

إذا لم تخش عاقبةَ الليالي ... ولم تستحي فافعل ما تشاء[3]

حياء محمد صلى الله عليه وسلم:

له القدح المعلى، وفيه الحياء تجلى، وهو بجميل الأخلاق أولى، لم تكن هناك إجابة لمن سأل أم المؤمنين رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم إلا إجابة واحدة (ألست تقرأ القرآن.؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن.)[4] ويكفيه شهادة ربه سبحانه وتعالى {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) العلق. (ومعنى هذا أنه، عليه السلام، صار امتثالُ القرآن، أمرًا ونهيًا، سجية له، وخلقًا تَطَبَّعَه، وترك طبعه الجِبِلِّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جَبَله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل.)[5] (فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان صلى الله عليه وسلم سهلا لينا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من

---

١ الأُترةُ بالضَمِّ: نَفْخَةٌ في الخُصيَة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٠/١).

٢ صحيح البخاري كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام رقم الحديث (٣٢٢٣).

٣ ديوان ابي تمام حبيب لن أوس الطائي، تحقيق: محيي الدين الخياط، ص ٤٨٥، على نفقة محمد جمال، طبع مرخصا من نظارة المعارف العمومية الجليلة، بيروت.

٤ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب جَامِعِ صَلاَةِ اللَّيْلِ وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ. رقم الحديث (١٧٧٣).

٥ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (١٨٩/٨) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال صلى الله عليه وسلم.)[1]

واشتهر صلى الله عليه وسلم بالحياء بين أصحابه رضوان الله عليهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

(كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرف في وجهه.)[2]

نزل الوحي بأمر استحى أن يذكره لأصحابه حياء جود وكرم كما سماه ابن القيم[3] قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ ﴾

الأحزاب.

(وهذه الآية تضمنت قصتين: إحداهما – الأدب في أمر الطعام والجلوس. والثانية – أمر الحجاب.)[4] تضمنت آدابا جليلة وأحكاما عظيمة لم تكن تعرف في الجاهلية، وسنتناول منها ما يتعلق بموضوعنا وهو حياء النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كانت البيوت تدخل بغير إذن، ومنها بيت النبي صلى الله عليه وسلم خاصة أنه منارة يتلقفون منه العلم والهدى، وربما وافق دخولهم وقت أكل أو انشغال النبي صلى الله عليه وسلم فينزعج من دخولهم بغير إذن أو من بقائهم بعد قضاء حاجتهم، ولكنه كان يستحي من مصارحتهم

١ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص (٨٧٩).
٢ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه، رقم الحديث (٦١٧٦).
٣ مدارج السالكين (٢/ ٢٧٢).
٤ تفسير القرطبي (١٤/ ٢٢٣).

بأن يخرجوا حتى حدثت حادثة كانت سببا في نزول هذه الآيات عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا الناس طعموا ثم جلسوا يتحدثون. قال: فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام معه من الناس وبقي ثلاثة، وإن النبي صلى الله عليه وسلم جاء ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقوا. قال: فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل. فذهبت أدخل فأرخى الحجاب بيني وبينه وأنزل الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الأحزاب.)[1]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ نداء من رب الأرض والسماء للمؤمنين يحظر عليهم (أن يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذن، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله لهذه الأمة، فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والدخول على النساء"[2])[3]

﴿ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ ﴾ فشرط عليهم شرطين: الدعوة والإذن، (لأن الطفيلي قد يؤذن له إذا استأذن وهو غير مدعو)[4]

والقيد الثالث: ﴿ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ نَضْجُه وبلوغه، يقال أَنَى يأنِي إنَاءً إذا نَضِج وبَلَغَ.)[5]

(قال مجاهد: متحيِّنين نضجه.)[6]

﴿ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ فإذا فرغتم من طعامكم فباشروا بالمغادرة ولا تطيلوا المكث بطلب الإنس بالحديث (ولا متحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام إيناسًا من بعضكم لبعض به.)[7] بل ليكن جلوسكم بمقدار الحاجة.

---

١ صحيح البخاري كتاب الاستئذان، باب من قام من مجلسه أو بيته ولم يستأذن أصحابه أو تهيأ للقيام ليقوم الناس رقم الحديث (٥٩١٦).

٢ صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة رقم الحديث (٤٩٣٤)

٣ تفسير ابن كثير (٦/ ٤٥٤).

٤ التحرير والتنوير (٢٢/ ٨٢)

٥ معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (٤/ ٢٣٤)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، طـــ: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٦ تفسير الطبري (٢٠/ ٣٠٦).

٧ المصدر السابق (٢٠/ ٣٠٩).

(ثم بين حكمة النهي وفائدته فقال: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ ﴾ أي: انتظاركم الزائد على الحاجة، ﴿ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ ﴾
أي: يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته، واشتغاله فيه.) [1]
(وصيغ ﴿ يُؤْذِى ﴾ بصيغة المضارع دون اسم الفاعل لقصد إفادة أذى متكرر والتكرير كناية عن الشدة) [2]
(وقد يقتضي أن ذلك تكرر قبل قضية النفر الذين حضروا وليمة البناء بزينب فتكون تلك القضية خاتمة القضايا.) [3]
﴿ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ﴾ (أن يقول لكم: " اخرجوا " كما هو جاري العادة، أن الناس – وخصوصًا أهل الكرم منهم– يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم، ﴿وَ﴾ لكن ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾)[4]
وكيف لا يستحي محمد صلى الله عليه وسلم وهو من أدبه ربه! وشهد له بخلقه العظيم، وكيف لا يستحي وهو من أعلى بين أصحابه شأن الحياء وحظ عليه، قال الزجاج: (كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يحتمل إطَالَتُهُمْ كرماً منه فيصبر على الأذَى في ذلك، فعلم الله من يحضره الأدَبَ فصار أَدَباً لهم ولمن بعدهم.) [5]
وقد كان صلى الله عليه وسلم قدوة لأصحابه رضوان الله عليهم في قوله وفعله وهديه وسمته فنقلوا آثاره للأمة، فمن ذلك:
حياؤه صلى الله عليه وسلم من الله وذلك كما في حادثة المعراج الطويلة وفرض الصلوات الخمس، وطلب موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بسؤال ربه التخفيف، فلما راجعه عدة مرات فخففت من خمسين صلاة إلى خمس صلوات قال موسى للنبي صلى الله عليه وسلم: " راجع ربك. فقلت: استحييت من ربي."[6] فمنعه حياؤه من الله أن يراجعه أكثر من ذلك.
أما حياؤه من الناس فكما مر معنا في الآية الكريمة ومنه أيضا:
(عن عائشة رضي الله عنها: أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض. فأمرها كيف تغتسل، قال: " خذي فرصة من مسك فتطهري بها.". قالت: كيف

---

١ تفسير السعدي ص ٦٧٠
٢ التحرير والتنوير (٢٢/ ٨٦)
٣ المصدر السابق (٢٢/ ٨٣)
٤ تفسير السعدي ص ٦٧٠
٥ معاني القرآن (٤/ ٢٣٥).
٦ صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، رقم الحديث (٣٤٢).

أتطهر؟ قال: "(تطهري بها!" قالت: كيف؟ قال: "سبحان الله تطهري". فاجتبذتها إلي فقلت تتبعي بها أثر الدم.) [1] وفي رواية مسلم (وَاسْتَتَرَ) [2] وما فعل ذلك إلا حياء حشمة أن يوضح لها أكثر من ذلك.

حتى تأثر به أصحابه رضوان الله عليهم بخلقه (وكان عثمان بن عفان قد خص من الحياء بأجل السهام، ومنح منه بأوفر الأقسام، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تستحيي منه الملائكة الكرام.) [3] فقال صلى الله عليه وسلم: " ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة." [4]

المبحث الثالث: حياء فتاة مدين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

القصص.

في هذه الآيات تلتقي نخوة الرجال ومروءتهم مع حياء النساء وعفتهن، فتظهر لنا صورة الطهر والعفاف بأبهى حللها وأجملها، ويخلد ذكر امرأة في القرآن لحيائها وأدبها.

ويحسن ألا أقتصر على الشاهد هنا سنذكر شيئا من الحديث عن موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

وعن لقائه بتلك الفتاتين، لتكتمل لنا صورة ذلك المشهد.

موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يأتمر به الملأ فرعون وقومه ليقتلوه، فيأتيه الناصح بأن يخرج لأنه إن لم يفعل سيقتل، (عن ابن عباس، قال: خرج موسى متوجها نحو مدين، وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه.) [5] (فهيأ الله الطريق إلى مَدين، فخرج من مصر بلا زاد ولا حذاء ولا ظهر [6] ولا درهم ولا رغيف، خائفا يترقب.) [7]

---

١ صحيح البخاري كتاب الحيض، باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل وتأخذ فرصة ممسكة فتتبع أثر الدم رقم الحديث (٣٠٨).

٢ صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم. رقم الحديث (٧٧٤).

٣ غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، محمد بن إبراهيم بن يحي الكتبي المعروف بالوطواط (ص ٢٩)، ضبطه وصححه وعلق حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، طـ الأولى ١٤٢٩هـ.

٤ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضى الله عنه.، رقم الحديث (٦٣٦٢).

٥ تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٩)

٦ الظهر: الدابة التي يركب ظهرها، من جمل ونحوه.

٧ تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٩)

زاده طلب هدى مولاه. فكان ذلك، (خرج موسى من مصر إلى مدين، وبينه وبينها ثمان ليال.) [1] وكان لمدين بئر ترده الرعاة لسقيا أغنامهم، وصل موسى عند ذلك البئر، فرأى مشهدا لا يرضاه صاحب المروءة، والغيرة، وجد الرعاة يسقون أغنامهم، ورأى امرأتين (تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يُؤذَيا. فلما رآهما موسى عليه السلام، رق لهما ورحمهما.) [2] فلم تطب نفسه بهذا المنظر، فنسى تعبه وعناءه ومشقة سفره ومطاردة فرعون له، فأبى صاحب المروءة ذلك المنظر فلم يسترح ولم يهدأ حتى سأل تلك الفتاتين عن ورودهما مع الرجال، فقضى حاجتهما. وكان الأولى بتلك الكثرة من الرجال مفتولي العضلات أصحاب البلد سقيا الفتاتين وأعانتهما، ولكنها المرآة إذا غابت لا ترى أفعال موسى.

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ فأجابتاه بأوجز عبارة تدل على أنهما (كانتا ذواتي مروءة وتربية زكية) [3]

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (لا نستطيع أن نزاحم الرجال.) [4] وأبونا ضعيف كبير لا يستطيع مباشرة السقيا بنفسه (فهذا الحال الملجئ لنا إلى ما ترى.) [5] (لا قوة له على السقي، فليس فينا قوة، نقتدر بها، ولا لنا رجال يزاحمون الرعاء.) [6] فأبت مروءة موسى أن يرضا بذلك فيتقدم المتعب المجهد المطارد في شدة الصيف والحر فيسقي للمرأتين، ولا ينتظر منهما جزاء بل ينصرف تحت ظل شجرة يناجي ربه ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محتاج.) [7] (عن ابن عباس، قال: استنكر أبو الجاريتين سُرعة صدورهما بغنمهما حُفَّلا بطانا، فقال: إن لكما اليوم لشأنا.) [8] فقصتا عليه ما حدث وما فعل موسى، فأرسل إحداهما لتدعوه لأبيها، كيف جاءت إليه تلك الفتاة.؟ كيف أبلغته دعوة أبيها.؟ هنا ظهر نبلها وعفافها وحياؤها الذي يتلى في المحاريب إلى قيام الساعة ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ القصص. هكذا كانت مشيتها (مشي الحرائر.) [9] مشية العفيفة الطاهرة و﴿ عَلَى ﴾ (للاستعلاء المجازي مستعارة للتمكن من

١ المصدر السابق (١٩/ ٥٥٠)
٢ تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٦).
٣ التحرير والتنوير (٢٠/١٠٠).
٤ تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٤)
٥ تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٦).
٦ تفسير السعدي ص ٦١٥
٧ تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٦)
٨ المصدر السابق (١٩/ ٥٦٠)
٩ تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٨).

الوصف.) [١] (والاستحياء مبالغة في الحياء) [٢] جاءته ماشية (كائنة على استحياء فمعناه أنه كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط، وتنكير استحياء للتفخيم، قيل جاءته متخفرة أي شديدة الحياء.) [٣] فكأن الحياء فرش لها وهي تمشي عليه من شدة ما اتصفت به، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (مستترة بكمّ درعها، أو بكمّ قميصها...واضعة يدها على وجهها مستترة.) [٤] (لم تكن سلفعا [٥] من النساء خرّاجة ولاجَة، قائلة بيدها على وجهها.) [٦] لا رافعة صوتا ولا مبدية زينة (وهذا يدل على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصا في النساء.

ويدل على أن موسى عليه السلام، لم يكن فيما فعله من السقي بمنزلة الأجير والخادم الذي لا يستحى منه عادة، وإنما هو عزيز النفس، رأت من حسن خلقه ومكارم أخلاقه، ما أوجب لها الحياء منه.) [٧]

بأوضح عبارة وأجزلها وأبينها

﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ ﴿٢٥﴾ القصص. (وهذا تأدب في العبارة، لم تطلبه طلبا مطلقا لئلا يوهم ريبة...ليثيبك ويكافئك على سقيك لغنمنا) [٨] (لا ليمُنَّ عليك، بل أنت الذي ابتدأتنا بالإحسان، وإنما قصده أن يكافئك على إحسانك، فأجابها موسى.) [٩]

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ﴾ ﴿٢٥﴾ القصص. (كانت العوائد أن يفاتح الضيف بالسؤال عن حاله ومقدمه فلذلك قص موسى قصة خروجه ومجيئه.) [١٠]

(ذكر له ما كان من أمره، وما جرى له من السبب الذي خرج من أجله من بلده.) [١١]

﴿ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ ﴾ ﴿٢٥﴾ القصص. هذا ما كان يحتاجه موسى في تلك الساعة كان بحاجة إلى من يطمئنه، فتأتيه هذه الكلمة من الرجل الصالح ﴿ لَا تَخَفْ ۖ ﴾ في وقتها، ويبين له

١ التحرير والتنوير (٢٠/ ١٠٣).
٢ المصدر السابق (٢٠/ ١٠٣).
٣ تفسير أبي السعود (٩/٧).
٤ تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٨)
٥ المرأة الصَّخَّابة. معجم مقاييس اللغة (٣/ ١٦٠).
٦ تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٩)
٧ تفسير السعدي ص ٦١٥
٨ تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٨) بتصرف.
٩ تفسير السعدي ص ٦١٥
١٠ التحرير والتنوير (٢٠/ ١٠٤).
١١ تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٨).

العلة ﴿ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ القصص. (طب نفسا وقرّ عينا، فقد خرجتَ من مملكتهم فلا حُكْم لهم في بلادنا.) [1]

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص. (هي التي ذهبت وراء موسى، عليه السلام، قالت لأبيها:

﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ﴾ أي: لرعْية هذه الغنم.) [2] وهذا يدل على أنها لم تطب نفسا بخروجها للعمل فها هي تشير على أبيها باستئجار من يريحها وأختها من السقيا ومزاحمة الرجال، إنها تعاني وتتأذى هي وأختها من ذلك لولا حاجتهما لما خرجتا، أما وقد حانت الفرصة لأن تكفى عناء ذلك وتبعاته، فلن تتأخر في الإشارة على أبيها لاستئجاره، لتأوي لبيتها لا تحتك برجال في مرعاها وسقياها لغنمها، فالفطرة السليمة تنفر من مزاحمة الرجال والاختلاط بهم ولا تطب بذلك نفسا ولا تقر به عينا.

﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص. (إن خير من تستأجره للرعي القويّ على حفظ ماشيتك والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها، الأمين الذي لا تخاف خيانته، فيما تأمنه عليه.) [3] (وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملا بإجارة أو غيرها.

فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل.)[4]

قال ابن عباس: (فأحفظته الغَيْرة أن قال: وما يدريك ما قوّته وأمانته؟ قالت: أما قوّته، فما رأيت منه حين سقى لنا، لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه؛ وأما أمانته، فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين، فسُرّي عن أبيها وصدّقها وظن به الذي قالت.) [5]

هنا يأتي حرص الأب وحزمه فالرجل غريب وسيعمل عنده وسيتردد على البيت، ولديه ابنتان فوجود غريب بينهم سيبعث القلق في النفس، لذا رأى أن الوضع الآمن هو تزويج هذا الغريب من إحدى الفتاتين:

---

١ تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٨).
٢ تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٩).
٣ تفسير الطبري (١٩/ ٥٦٢)
٤ تفسير السعدي ص ٦١٥
٥ تفسير الطبري (١٩/ ٥٦٢)

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ ﴾ ﴿٢٧﴾ القصص. (طلب إليه هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرعى عنه ويزوجه إحدى ابنتيه هاتين.) [1]

﴿ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَ ﴾ ﴿٢٧﴾ القصص. (على أن ترعى عليّ ثماني سنين، فإن تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك، وإلا ففي ثمان كفاية.) [2] (وكأن أباها عندي جعل صداق ابنته التي زوجها موسى رعي موسى عليه ماشيته ثمانيَ حِجَج، والحِجَج: السنون.) [3] (وهي السنة مشتقة من اسم الحج لأن الحج يقع كل سنة وموسم الحج يقع في آخر شهر من السنة العربية.) [4]

﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ ﴾ ﴿٢٧﴾ القصص. (لا أشاقك، ولا أؤاذيك، ولا أماريك.) [5]

﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ القصص. (في حُسن الصحبة والوفاء بما قلت.) [6] (فرغبه في سهولة العمل، وفي حسن المعاملة، وهذا يدل على أن الرجل الصالح، ينبغي له أن يحسن خلقه مهما أمكنه، وأن الذي يطلب منه، أبلغ من غيره.) [7]

هذه المرأة الحيية العفيفة النظيفة الطاهرة هي زوجة كليم الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وهذا الجزء من حياة موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فيه من العبر والآداب ما فيه. قال ابن عاشور:

(والعبرة من سياقة هذا الجزء من القصة المفتتح بقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ ﴾ ﴿٢٢﴾ القصص. إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ القصص. هو ما تضمنته من فضائل الأعمال ومناقب أهل الكمال وكيف هيأ الله تعالى موسى لتلقي الرسالة بأن قلبه في أطوار الفضائل وأعظمها معاشرة رسول من رسل الله ومصاهرته وما تتضمنه من خصال المروءة والفتوة التي استكنت في نفسه من فعل المعروف وإغاثة الملهوف والرأفة بالضعيف والزهد والقناعة وشكر ربه على ما أسدى إليه ومن العفاف والرغبة في عشرة الصالحين والعمل لهم والوفاء بالعقد والثبات على العهد حتى كان خاتمة ذلك

---

١ تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٩).
٢ تفسير ابن كثير (٦/ ٢٣٠).
٣ تفسير الطبري (١٩/ ٥٦٥)
٤ التحرير والتنوير (٢٠/ ١٠٧).
٥ تفسير ابن كثير (٦/ ٢٣٠).
٦ تفسير الطبري (١٩/ ٥٦٥)
٧ تفسير السعدي ص ٦١٦

تشريفه بالرسالة وما تضمنته من خصال النبوة التي أبداها شعيب من حب القرى وتأمين الخائف والرفق في المعاملة ليعتبر المشركون بذلك إن كان لهم اعتبار في مقايسة تلك الأحوال بأجناسها من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم فيهتدوا إلى أن ما عرفوه به من زكي الخصال قبل رسالته وتقويم سيرته وإعانته على نوائب الحق وتزوجه أفضل امرأة من نساء قومه إن هي إلا خصال فاذة فيه بين قومه وإن هي إلا بوارق لانهطال سحاب الوحي عليه. والله أعلم حيث يجعل رسالته وليأتسي المسلمون بالأسوة الحسنة من أخلاق أهل النبوة والصلاح)[1]

والذي عنيت به هذه الورقات هو جانب الحياء، وفي هذا المبحث حياء النساء الذي نحن بأمس الحاجة إلى إحيائه في زمان كثرت فيه الفتن، وتزين فيه الباطل، فلبس أحلى حلله، واغتر به الجاهل وضعيف الإيمان من ذكر وأنثى، والحياء مطلوب من الجميع رجالا ونساء، ولكنه في النساء أحق وأوجب، وبدأ التململ من الحجاب واضحا، والسفور والتبرج والعري يضرب أطنابه بين النساء، وتحسين الاختلاط بين الرجال والنساء، فأصبح بعض النساء يصدق عليهن قول الشاعر:[2]

يدرجن حيث أردن لا من وازع *** يحذرن رقبته ولا من واق

يفعلن أفعال الرجال لواهياً *** عن واجبات نواعس الأحداق

كل ذلك يتم بقوالب إعلامية يتم نشرها عن طريق الرواية والقصة والأجهزة المرئية والمسموعة لإغراء الناس بالمعصية واستمرائها، ولهدم الفضيلة والحياء، فإذا ذهب الحياء حل البلاء، فأصبح التحدث عن الحياء ضرورة من الضرورات ولا منجى من ذلك إلا بالتمسك بآداب الشرع لقد سن الإسلام أمورا تعين على نظافة المجتمع وحفظه وتعزز خلق الحياء وتنميه، منها:

آداب الاستئذان داخل البيوت وخارجها، حتى لا تقع العين على عورة وعلى ما لا تحمد عقباه.

أمر بغض البصر للرجال والنساء، ونهى النساء عن الخضوع بالقول، وأذن لها بالقول المعروف، والبعد عن القبيح من القول والفحش، ونهاها عن إبداء الزينة إلا لمن أذن الله، وعدم الاختلاط بالرجال ومزاحمتهم في الطرقات والسكك، وبالجملة الائتمار بأمر الله، والوقوف عند نهيه.

---

١ التحرير والتنوير (٢٠/ ١١٠).

٢ ديوان حافظ إبراهيم، من قصيدة البنات ببور سعيد، ص ٢٨٢، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الثالثة ١٩٨٧م.

ربوا البنات عَلَى الفضيلة أنها *** في الموقفين لهن خير وثاق
وعليكم أن تستبين بناتكم *** نور الهدى وعلَى الحياء الباقي[1]

خرج رسول الله صلى الله من المسجد (من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء: " استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق" فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به.) [2] لقد بلغ بأمنا عائشة رضي الله عنها أن تستحي من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس وهو حي فهذا متوقع بل وهو ميت مدفون في حجرتها (قالت: كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي وأضع ثوبي وأقول: إنما هو زوجي وأبي فلما دفن عمر رضي الله عنه معهم فوالله ما دخلته إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر.)[3]

وهذه أختها أسماء رضي الله عنها تحكي عن نفسها (كنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ، فجئت يوما والنوى على رأسي فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار فدعاني ثم قال: " إخ إخ ". ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال) [4]

ولوْ كانَ النّساءُ كمَنْ فَقَدْنا *** لفُضّلَتِ النّساءُ على الرّجالِ
وما التأنيثُ لاسمِ الشّمسِ عَيبٌ *** ولا التّذكيرُ فَخْرٌ للهِلالِ[5]

لله درهن رضي الله عنهن، هذا حياء نساء عصر النبوة، إننا لنضع أيدينا على وجوهنا خجلا حينما نقرأ عنهن ونلتفت لنرى ما وصل له نساء المسلمين في هذا الزمان – إلا من رحم الله_.

(الحياء دليل الدين الصحيح، وشاهد الفضل الصريح، وسمة الصلاح الشامل، وعنوان الفلاح الكامل، من كان فيه نظم قلائد المحامد ونسق، وجمع من خلال الكمال ما افترق)[6].

---

١ ديوان حافظ إبراهيم، ص ٢٨٣.

٢ سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق، رقم الحديث (٥٢٧٢). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٨٥٦)، مكتبة المعارف – الرياض.

٣ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، رقم الحديث (٢٥٦٦٠)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م. وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، برقم (١٧٧١)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٠٥ه – ١٩٨٥م، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

٤ صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة، رقم الحديث (٤٩٢٦)

٥ ديوان المتنبي ص ٢٦٧، دار بيروت للطباعة والنشر– بيروت، ط ١٤٠٣هـ.

٦ غرر الخصائص الواضحة، ص ٢٨.

الخاتمة:

وبعد هذه الجولة في آيات الحياء، ودراستها واستنباط ما فيها من فوائد، وتعزيز ذلك بأحاديث سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وتطبيق الصحابة والصحابيات رضوان الله عليهم له على أرض الواقع، لا نقول إلا أن الحياء زين كله، قال صلى الله عليه وسلم: " ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه" [1] (فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة، كما أن الواقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوما، وتواتر الشر منه موجودا، لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها، فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها.)[2]

يتبين ما يلي:

أهم النتائج:

١. القرآن منهج حياة قد حوى منظومة أخلاقية متكاملة يصلح بها حال البلاد والعباد.
٢. الأخلاق جوهر نظام الإسلام وروحه السارية في جميع جوانبه.
٣. أن صفة الحياء ثابتة لله عز وجل في الكتاب والسنة على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته.
٤. خلق الحياء كان صفة بارزة في الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، والصحابة رضوان الله عليهم، والصالحين، قد كان واضحا في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم.
٥. أن الحياء كغيره من الأخلاق يكون فطريا ويكون مكتسبا، ومن كان مفطورا على الحياء يحتاج أن يوجهه وفق مقتضى الشرع.
٦. أن الحياء زين في الأمور كلها، وهو في المرأة آكد ومطلب شرعي.
٧. حسن تربية الأنبياء والصحابة والصالحين لأبنائهم (ذكورا وإناثا) على الحياء، حتى فاح عبق ذلك من بين الكتب إلى زماننا هذا فشممناه.

أهم التوصيات:

١. استنهاض همم الباحثين والمربين للعناية بهذه القيمة العظيمة (الحياء) للكتابة فيها والحديث عنها لغرسها في نفوس الأجيال منذ الصغر.

---

١ مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، رقم الحديث (١٢٦٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٦٥٥).
٢ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٥٨.

٢. ضرورة أن يحرص الوالدين على غرس وتعزيز هذا الخلق في الطفل، فيظهر في لباسه وفعاله وأقواله. وعرض تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم لذلك، خاصة في ظل هذا الانفتاح على العالم الغربي، حتى لا تذوب هويته الإسلامية.
٣. ضرورة أن يحرص الوالدين والمربين عامة على التنبيه والحث على اختيار الصاحب الصالح الذي يدل على الخير ويعين عليه.
٤. تنظيم الدورات والندوات من قبل المؤسسات المتخصصة لرفع مستوى الوعي بأخلاق القرآن وخاصة الحياء.
٥. إنشاء قنوات تربوية تعنى بتقديم المفيد للمجتمع وترسيخ الأخلاق الإسلامية في الأجيال خاصة خلق (الحياء).

نسأل الله أن يهدينا لما يحبه ويرضاه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

١. الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي، القاهرة، مؤسسة قرطبة، ١٩٨٧ م.

٢. إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار الكتاب العربي.

٣. أدب الدنيا والدين، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، طـ ١٤٣٤هـ، دار المنهاج للنشر والتوزيع- لبنان – بيروت.

٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥. الأساس في التفسير، سعيد حوّى، دار السلام – القاهرة، طـ: السادسة،١٤٢٤ هـ.

٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط الأولى ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

٧. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٨. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، دار الكتب العلمية – بيروت.

٩. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، طـ الأولى ١٤٠٥هـ.

١٠. تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار – المدينة المنورة، طـ: الأولى، ١٤٠٦هـ.

١١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط: الثانية ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع.

١٢. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار الكتب العلمية – لبنان.

١٣. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الازهري، محمد عوض مرعب، ط الأولى ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط الأولى ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة.

١٥. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط الأولى ١٤٢٠ ه، مؤسسة الرسالة.

١٦. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة ــ بيروت
١٧. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
١٨. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٧ ه – ١٩٨٧م.
١٩. الجامع الكبير سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م.
٢٠. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢١. ديوان أبي تمام حبيب لن أوس الطائي، تحقيق: محيي الدين الخياط، على نفقة محمد جمال، طبع مرخصا من نظارة المعارف العمومية الجليلة، بيروت.
٢٢. ديوان البحتري، للبحتري، اعتنى به عبد الرحمن أفندي البرقوقي، ط: الأولى ١٣٢٩هـ. مطبعة هندية بالموسكي بمصر.
٢٣. ديوان حافظ إبراهيم، من قصيدة البنات ببور سعيد، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الثالثة ١٩٨٧م.
٢٤. ديوان علي بن الجهم، لعلي بن الجهم، تحقيق: خليل مراد، المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، المكتبات المدرسية، سنة النشر ١٤٠٠، ط الثانية.
٢٥. ديوان المتنبي ص ٢٦٧، دار بيروت للطباعة والنشر– بيروت، ط ١٤٠٣هـ.
٢٦. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي أبو حاتم، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٣٩٧ه – ١٩٧٧م.
٢٧. رياض الصالحين، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.
٢٨. سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت،
٢٩. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف عليه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤٠٦هـ،
٣٠. شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية– الرياض، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، ط: الثانية.

٣١. شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، للإمام ابن القيم الجوزية، شرحها وحققها: د.محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ط: الثالثة ١٤٢٤هـ.
٣٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط الرابعة ١٩٩٠م، دار العلم للملايين.
٣٣. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصدّيق، ط الأولى ١٤٢١هـ.
٣٤. علم الأخلاق الإسلامية أ.د مقداد يالجن، دار عالم الكتب ط الأولى ١٤١٣هـ.
٣٥. غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، محمد بن إبراهيم بن يحي الكتبي المعروف بالوطواط، ضبطه وصححه وعلق حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط الأولى ١٤٢٩هـ.
٣٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان بمصر ١٩٨٦م.
٣٧. فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.
٣٨. فيض القدير، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان. ط: الاولى ١٤١٥ ه – ١٩٩٤ م.
٣٩. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٤٠. الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٤١. متن القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط الثانية، ١٤١٧ه، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٤٢. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، ط: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.
٤٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٣ه. – ١٩٧٣م.

٤٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٤٥. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٠٥ه – ١٩٨٥م، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني
٤٦. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٤٧. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١٤٠٤هـ.، دار الدعوة – استانبول.
٤٨. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.، ط الأولى ١٤١١هـ، دار الجيل.
٤٩. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المشهور بابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٠. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.
٥١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.
٥٢. المنهاج في شعب الإيمان، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، ط: الأولى، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م.
٥٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ.